أصول البناء البيئي الإسلامي

د.السيد سنين موسي مادبو
كلية الدراسات التنموية
جامعة الضعين
السودان

المقدمة:

ينظر الإسلام إلي المحيط البيئي للإنسان، بأنه دنيا(عالم) حافلة بالأمم الاخري، وتلك الأمم تسعي وتثابر في عبادة الله تعالي طوعاً لا كرهاً لمعرفتها بعظمة الله تعالي.

إن خلافة الإنسان في الأرض كفلت له أمانة ذاك المحيط البيئي وسخر الله له كل سبل الاستفادة من مصادر الطبيعة المختلفة دون إفراط أو تفريط، حتى لا يكون سعيه وتدافعه من اجل كسب عيشه فساداً. وان كثير من الأمم التي سلكت طريق الفساد والإفساد كان مصيرها الهلاك.

ولعل تكريم الله سبحانه وتعالي لبني آدم علي سائر مخلوقاته، بما وهب إليه نعم كثيرة أعظمها العقل الذي يعتبر مفاتيح تلك التسخيرات في فك طلاسم البيئة.

سوف يتناول هذا البحث باختصار أصول البناء البيئي الإسلامي وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية، لبعض الموضوعات التي تعتبر من الأصول الأساسية في الفكر الإسلامي لمفهوم البيئة والتي في مقدمتها الاستخلاف منظور بيئي.

وبما أن هذا الاستخلاف تتضح معالمه بعد نعمة التسخير، سوف يحاول البحث أيضا أن يلقي الضوء على موضوع التسخير البيئي للإنسان. التسخير يعكس الصورة المثلي لأوضاع الطبيعة خالية من التغيرات المناخية التي تؤدي إلى تلوث الهواء والماء والاحتباس الحراري ومآلاتها على تآكل طبقة الأوزون بالإضافة إلى الأمطار الحمضية.

وبما أن الإنسان خلق هلوعاً، فأنه وفي كثير من الأحيان يتجاوز ويتعسف في استغلال الموارد الطبيعية مما يحسب ذلك فساداً في الأرض. فان موضوع الفساد البيئي من ضمن الموضوعات الفرعية التي تعتبر من أحد اهتمامات البحث.

ثم ينتقل البحث إلى موضوع ذي صلة بعواقب الفساد البيئي وهو التوازن البيئي. ولعل معرفة حقيقة وحكمة التوازن البيئي هي معرفة إيمانية ترتبط بمعرفة القدر الموزون.

ولما كانت الحياة تعتمد على محيطها البيئي، فكان لزاماً التنبيه بان المحيط البيئي ليس حصرياً لبني البشر وانه حافل بالأمم الاخري غير الآدمية.

عليه ووفقاً للأحكام الشريعة الإسلامية ينبغي على الإنسان أن يعيش وفقاً لرؤية تصالحية مع محيطه البيئي. فان خاتمة هذا البحث عبارة عن رؤية تصالحية تحت عنوان فرعي (التصالح مع البيئة)

- يختلف مفهوم التصالح مع البيئة مع مفهوم المحافظة على البيئة، فان التصالح يدعو إلى المحافظة على البيئة لأغراض المحافظة على الأمم الاخري حتى يتسن لها المحافظة على عبادة الله وليس المحافظة على موارد البيئة فقط. ومن ثم ينعم البشر بالحياة الطيبة. إن الحياة الطيبة هي الحياة المثلي التي تضمن نشاط إنساني داخل المحيط البيئي الطبيعي ثم يمتد إلى البيئة المنشأة والاجتماعية، ثم تشمل مكونات البيئة الأخرى من حيوان ات وطيور وجمادات.
- وبما أن الاقتصاد، يحدد الاستثمار وأوليات الإنتاج والتصنيع، قام البحث، بعرض لأشكال الاستثمار التي تواءم استقرار المناخ وتحمي البيئة من كل أشكال التعسف في الاستفادة من خيراتها.

إن ترقية جودة الحياة، عن طريق حفظ وصيانة البيئة الطبيعية، المجتمعية والمنشأة. تعتبر من أهم مطلوبات التصالح مع البيئة، يمكن أن تقوم تفاهمات بين كل أفراد المجتمع (الشامل)، تهدف إلى الوفاق الذي يحقق الشمول المجتمعي، حتى يصل لمرحلة الميثاق، الذي يحرم كل أشكال الفساد والإفساد البيئي، يكون ملزماً لكل أفراد المجتمع، يتبادلون فيه الحقوق طواعيةً لغاية التعاون الاجتماعي.

- ولما كانت الهجرة تعتبر أثر لفساد البيئة، ركز البحث عليها لإبراز التدهور البيئي لأسباب تتعلق بالهجرة مع التعرف على بعض النماذج المهمة.
- تنبع أهمية الدراسة من ضرورة التصالح مع البيئة، لتجنب المخاطر الوخيمة الناتجة عن التغيرات البيئية والمناخية.
- يهدف البحث إلى العمل الجاد لتحقيق التصالح مع البيئة وإنزال الأطر النظرية إلى الواقع المعيش. انطلاقاً من نظرية الاستخلاف (منظور بيئي) دون تمييز لجنس أو لون أو معتقد أو جهوية مناطقية.
- البحث عبارة عن دراسة وصفية موضوعية تحليلية، لمالات الكون في غياب التصالح مع البيئة.

خاتمة هذه الدراسة عبارة عن مستخلصات مفاهيمية لتوجيه البحوث والدراسات لمقاصد التصالح مع البيئة، كما جاءت في الفكر الإسلامي.

نظرية الاستخلاف (منظور بيئي):

إن خلافة الإنسان في الأرض، كانت مقرونة ببعدها البيئي. إذ كانت البيئة مسخرة للإنسان ليتبوأ فيها أي يستقر ولا يتحقق الاستقرار إلا بتوفر ضرورات الحياة والتي في مقدمتها المأوى ولأهميته قرنه الله تعالى بالخلافة، حتى تتكامل عوامل الإعمار الأخرى بعد أن أصبحت كل مصادر الطبيعة مسخرة للإنسان.

يقول الله تعالى: "وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأرض تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُواْ آلاء اللهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأرض مُفْسِدِينَ".[1]

ويلاحظ في الآية الكريمة السابقة أن فعل (بوأ) جاء بعد الفعل (جعل) جعل هنا شرط للخلافة، ولعل النظرة الكلية تقوم على الإيمان، للأغراض العبادة الخالصة.

دلالة العبادة في بعدها البيئي تعني توفير المكان الذي تقام فيه العبادة، لقوله تعالى: "إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ".[2]

ولعل الصورة تبدو أكثر وضوحاً عن ماهية خلافة الإنسان للأغراض المختلفة، حيث تتابع الأحداث من خلق الإنسان وخلافته في الأرض وأن يتبوأ المأوى في الأرض وأن يتخذ بيوت الله للعبادة ومنها وبها يتفاعل الإنسان مع أبعاد البيئة الأخرى دون إفراط أو تفريط وأي منهما يعتبر فساداً يضر بالبيئة.

والقرآن الكريم حافل بالقصص والتي تشتمل على العبر والمواعظ. فمنها ما له البعد البيئي الذي يعكس صور الاجتماع الإنساني في أفضل أبعاده البيئية لقوله تعالى: "وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيهِم وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ".[3]

لقد ذكرنا في فصل سابق إن هذه الآية حققت بعدين معنويين وثالث مادي (الاستقرار) أما الاثنين الأخريين هما الإعمار والإخوة في الله. وهي الأبعاد الأساسية للتفاعل مع البيئة ومن ثم يمكن تحقيق ما يحيط بالبيئة من أبعاد أخرى. هذا أيضاً يؤكد لنا قوة الإيمان في بعده البيئي.

يرى بعض العلماء أن البيئة هي أحد أمانات الله وينبغي أن يتصرف الإنسان تجاهها بنحو لا يعرضه للحساب يوم القيامة.

"إن الإنسان الذي هو خليفة سوف يحاسب يوم القيامة عن أعماله وتصرفاته وكيف كانت الأمانة... إن الإنسان بصفته خليفة الله يمكنه أن يحكم الطبيعة التي هي أمانة منحت له بشرط قبول السيطرة التي تعلوه من قبل الله تعالى فقط"[4].

إن خلافة الإنسان في منظورها البيئي هي كسائر أشكال خلافته في مجالات الحياة الأخرى، يقوم جوهرها على الإيمان المفضي إلى العبادة الخالصة لوجه الله تعالى. وأي تفريط في أمانته البيئية يعتبر تجاوزاً لحدود أمانته، يترتب عليه تجاوز على حقوق الآخرين، ولعل خصوصية الآخرين تبدو في أهمية المحافظة على حقوق الأجيال القادمة وحقهم في حياة نظيفة وبيئة سالمة من الفساد معطاءة، تتجدد كل حين بإذن ربها.

1/ الأعراف:74
2/ آل عمران 96
3 / الحشر:9
4/ ابراهيم اوزدمير: البيئة في القرآن الكريم، مجلة التنوير المعرفي العدد (5)، الخرطوم 2008,ص181.

التسخير:

من نعم الله على الإنسان أن سخر له البيئة ليستفيد من كل مواردها من أجل التنعم بخيراتها. والتسخير يعني تذليل الصعاب التي تعترض الإنسان في سعيه إلى توفير حاجياته وضروريات وجوده بعد أن أنعم الله عليه بوجود تلك الخيرات في محيطه البيئي الشاسع.

إن هذا التسخير شكل آخر من تكريم الإنسان عن سائر مخلوقات الله لغاية العبادة القائمة على التوحيد."ان الإيمان بالله هو الذي يجعل هذا الكون، الذي خلقه الله مسخراً بأمره لعباده".[5]

إن نعم الله على الإنسان كثيرة لا تُعد ولا تُحصى ولعل أعظمها في عملية قهر وتذليل صعاب البيئة هي نعمة (العقل) والذي يعتبر مفتاح التسخير لفك طلاسم البيئة. ولما كان العقل البشري يتميز بمقدرات خارقة، فتمكن من تسخير البيئة لدرجة قهرها والتعسف في استغلالها، لدرجة نسي فيها أن حكمة الله تجلت في توازن البيئة عطاءً وتجديداً وإلا سوف يواجه الإنسان صعاباً تهدد حياته.

يقول الله تعالى: "أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرض وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ".[6]

ويقول الله تعالى: "هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرض ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ".[7]

وتفاصيل نعم الله كثيرة بدأت مع حياة الإنسان الأولى، منها الظاهر ومنها الباطن ومن النعم الظاهرة تسخير الأنعام ومصادر الطبيعة الأخرى كالبحار والغابات والمعادن. "فالبيئة بأرضها وسمائهاو هوائها وجمادها ونباتها وحيواناتها وما يلج فى الأرض ... كل ذلك خلقه الله مسخراً منه للإنسان...فهى خلقت له ومن أجله"[8]

يقول الله تعالى: "وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿5﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿6﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إلا بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿7﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ".[9]

ويقول الله تعالى: "وَاللّهُ أَنزلَ مِنَ الْسَّمَاء مَاء فَأَحْيَا بِهِ الأرض بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿65﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿66﴾ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ".[10]

ويقول الله تعالى: "وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ".[11]

وبعد ما سخر الله لعباده النعم الظاهرة على سطح الأرض وفي قاع البحار، ظل الإنسان يتطلع إلى باطن الأرض وأقطار السموات تذليلاً وتسخيراً، فعلمه الحساب وعدد السنين."فالهدف من ذلك التسخير هو تنظيم حياة الإنسان لابتغاء الكسب "[12]

ومع تلك النعم الكثيرة واللامحدودة، كان ينبغي على الإنسان تجنب كل ما من شأنه أن يؤدي إلى ظلم وحرمان واستغلال وإقصاء وتغريب بني البشر الآخرين، كما ينبغي أن ينأى بنفسه عن فساد وإفساد البيئة، لكن هيهات، فقد عم الفساد في البر والبحر والجو وأصبح الظلم سمة الحياة وأصبح كثيرون غرباء في محيطهم البيئي. وهذا كله بدافع النهم الذي لا يشبع والأنانية التي لا تعرف الإيثار. فكان نتيجة ذلك تهميش بيئي ينبأ بكوارث بيئية لا يعلمها إلا الله.

---

[5] محمد مجذوب محمد صالح: الأصول المعرفية لمفاهيم حقوق الإنسان. مصدر سابق، ص 43

6/لقمان:20

7 الملك 15

[8] عبد الإله محمد الحسن: حماية البيئة والمحافظة عليها، تفكر المجلد (7) العدد (2) مطابع العملة السودانية – معهد إسلام المعرفة بجامعة الجزيرة- مدني 2006، ص 235.

5/ النحل:8- 9

1 /النحل:66-65

11 / فاطر:12

[12] زينب عثمان سعيد: نحو صياغة إسلامية لعلم الأحياء البيئي، مجلة التأصيل العدد (4) ادارة تأصيل المعرفة بوزارة التعليم العالى والبحث العلمي، المؤسسة العامة للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان- أم درمان 1996 ص 91.

وإن المحيط البيئي الذي يشمل السماوات والأرض وما بينهما وما في أقطارهما ليست ملكاً حصرياً للإنسان وإنما هو خليفة وله حق الانتفاع، بدون إفراط أو تفريط. وكثير من آيات الله تخبرنا بأن هنالك أمماً كثيرة غير بني البشر يشكرون ويسبحون بحمد الله.

يقول الله تعالى: "وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأرض وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إلا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ".[13]

كما أن هنالك تسخيراً آخر خاص بأنبياء ورسل الله تعالى يتميز بالإعجاز في كثير من الأحيان فمنهم من أحيا الموتى بإذن الله ومنهم من سخر له الجن والريح تسير بأمره. فذاك التسخير الرباني للأنبياء والرسل كان متفرداً في نوعه وقبوله والشكر عليه.

يقول الله تعالى: "وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿10﴾ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿11﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿12﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاء مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ".[14]

ويقول الله تعالى: "وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿17﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿18﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ".[15]

فساد البيئة:

إن التدهور البيئي وإفساد الحياة

وما ينعكس على حياة البشر وسائر الكائنات الحية هي من أفعال الإنسان وهو المسئول الأول من هذا التدهور. ولعل الأسباب الأساسية لهذه التدهورات تكمن في إبتعاد الإنسان عن تعاليم ربه الذي سخر له هذه البيئة للاستفادة منها وليس للإسراف والتبذير. "فإذا انفصمت العروة الوثقى بينهما أي (الإله وعباده) – أصبح الناس يتصرفون دون عاصم ولا ضابط لسلوكهم وأفعالهم وبذلك التصرف يكون هنالك إفراط وتفريط في التعامل مع البيئة".[16]

عدم الالتزام بتعاليم الله تعالى يؤدي إلى إفساد البيئة، لقوله تعالى: "وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأرض لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ".[17]

إن فساد البيئة يقوم على مستويين هما البيئة الطبيعية والبيئة الاجتماعية.

13/ الانعام:38

14/ سبأ10-13

15/ ص:16-19.

16/ عبد الاله محمد الحسن: حماية البيئة والمحافظة عليها، تفكر، م7 العدد2 , مدني 2006 ,ص 238

17 / البقرة :205.

أولاً: فساد البيئة الطبيعية:

يشتمل فساد البيئة الطبيعية على تلوث الهواء والماء والتصحر وتآكل طبقة الأوزون والإحتباس الحراري والأمطار الحمضية ويطلق عليها مجتمعة " بالتغيرات المناخية ".

ثانياً:الفساد الاجتماعي:

ويتسبب في الهجرة (النزوح واللجوء والتشرد) ويصاحب ذلك كوارث الفقر والجوع، المرض، المديونيات العالمية، فساد القيم وما يترتب عليها من إنحلال في الأخلاق.

إن فساد البيئة الطبيعية والاجتماعية هو فساد عام في مناحي الحياة وهو في الأصل ناتج من الطمع والأنانية في النفس البشرية.

يقول الله تعالى: "ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ".[18]

إن فساد البيئة الطبيعية والاجتماعية يؤدي إلى ما يعرف بالتهميش البيئي وهو من أسباب ودواعي التهميش الاجتماعي، و أن الفساد نقيض الأستخلاف."إن الاستخلاف يستدعى المحافظة على مقاصد الله تعالى سوا من حيث الوجود أو العدم "[19]

ولرحمة الله تعالى بعباده، تتجلى قدرته في إصلاح البيئة بعد إفسادها ويدعو الإنسان لعدم العودة إلى الإفساد مرة أخرى، لأن في ذلك ظلم لا بعده من ظلم. ويدعو الله الإنسان للتفكر في خلق الكون والتبصر في معجزات البيئة لغرس روح الإيمان الذي يحقق التقوى. لقوله تعالى: "وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأرض بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ".[20]

ويقول الله تعالى: "وَلَوْ أَنَّ أهل الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأرض وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ".[21]

إن فساد البيئة يؤدي إلى تغير خصائص عناصرها ويترتب على ذلك أمراض خطيرة تضر بصحة الإنسان والحيوان.

يقول الله تعالى: "وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ".[22]

ولعل من الأسباب المهمة في فساد البيئة هي الإسراف والتبذير. لقوله تعالى: "وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿151﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأرض وَلَا يُصْلِحُونَ".[23]

يقول الله تعالى: "يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ".[24]

إن الله تعالى لم يدع الأمر بلا قيود وضوابط بل قيد الإباحة بعدم الإسراف[25]

التوازن البيئي:

مفهوم التوازن البيئي يعني الاعتدال في استغلال مصادر البيئة الطبيعية. ولحكمة الله أن خلق كل شيءٍ بقدر موزون. وعلى ذلك فإنتاج وإعادة إنتاج موارد البيئة يجب أن يقابلها استهلاك معتدل في حدود الحاجة دون إسراف أو تبذير.

في ثمانينات القرن الماضي ظهر مصطلح الاستدامة وخاصة في موضوعات التنمية. وهو موضوع يعني أيضاً أن يستهلك الإنسان موارد البيئة الطبيعية في حدود المحافظة على تلك الموارد لضمان استمرارية عطائها. فإن الله سبحانه وتعالى خلق كل شيءٍ بقدر لقوله تعالى: "وَالأرض مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا

---

18 / الروم:40.

[19] جمال الدين شريف: مفهوم الاستخلاف، الأبعاد المعرفية لمفهوم الاستخلاف، مركز التنوير المعرفي. سلسلة حوارات التنوير (5)، الخرطوم ,2006 ,ص 51.

20/ الاعرف:56

21/ الاعراف :96

22/ النحل :112

23/ الشعراء:150- 151

24/ الاعراف:31

[25] يوسف القرضاوى: رعاية البيئة فى شريعة الإسلام، دار الشروق، القاهرة 2006 ,ص 203.

فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿19﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿20﴾ وَإِن مِّن شَيْءٍ إلا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إلا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ".[26]

والقدر المعلوم من آيات الله الكبرى التي تحقق الاستقرار في الكون ومن تلك الآيات التي يراها الإنسان كل يوم دون تبصر أو تدبر في أمرها هي آيات الشمس، القمر، الليل، والنهار. والله تعالى جعل حركة الشمس والقمر بحسبان وأهمية القدر الموزون، تأتي في القدرة على ضبط الحركة وأي اختلال في حركة الشمس والقمر يؤدي إلى كوارث طبيعية لا يعلمها إلا الله. وهكذا بالنسبة للماء والذي يعتبر أساس الحياة وهو مصدر الخلق وهو أيضا يتكون من ذرات محددة وموزونة والله سبحانه وتعالى ينزله من السماء بقدر موزون وأي زيادة تعتبر فوق تحمل طاقة الأرض تؤدي إلى فيضانات، تجلب الدمار والهلاك. ولعل حكمته في القدر الموزون تتجلي في حساب الليل والنهار والسنين والأيام من تعاقب حركة الشمس والقمر وما يترتب على ذلك من فصول في السنة جعل بعضها حار وآخر بارد وثالث ممطر وكل ذلك موزون. يقول الله تعالى: "الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ".[27]

ويقول الله تعالى: "وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأرض وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ".[28]

وبالنظر في كتاب الله المنظور، نجد فيه كل آية تعبر عن نواميس الكون، خلقت بقدر موزون ليتدبرها الإنسان، كالرواسي في الأرض والنباتات وكذلك الأنعام. في قوله تعالى: "اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيات لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿2﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأرض وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿3﴾ وَفِي الأرض قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاء وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأكل إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ".[29]

ويقول الله تعالى: "وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِلشَّارِبِينَ".[30]

إن مفهوم الاستدامة يعنى المحافظة على التوازن البيئي الذى تتجلى معانيه فى القدر المعلوم ،الحسبان والقدرة المتناهية الدقة فى اخراج اللبن من بين الدم والفرث .أى اختلال فى هذا التوازن يؤدى إلى اختلال فيما ينبغى استدامته ، تبدو واضحة جداً من النتائج المتمثلة فى التهميش البيئ الناتج من التغيرات المناخية التى تؤدى الى ارتفاع حرارة الأرض ،يترتب على ذلك ذوبان الكتل الجليدية ،مما يؤدى إلى غرق مدن كثيرة ومساحات زراعية ورعوية شاسعة ، تحدث كل أنواع الفساد الاقتصادي ،الاجتماعي والثقافي والذى يعنى الجحود بنعمة التسخير وهو أيضاً ضرب من التعسف فى ولاية الخلافة .

التصالح مع البيئة:

التصالح مع البيئة يعني النظرة الإيمانية تجاه البيئة لمعرفة محيطها ومن ثم التعامل معها لماهيتها وأغراض خلقها. ويتم ذلك عن طريق الإيمان الحق الذي ينظر إلى خلق السماء والأرض وصيرورتها بأمر الله، إذ أتيا طوعاً لما جاءهما الأمر. وبما أنهما يمثلان المحيط البيئي للإنسان وأن أساس العلاقة بينه وبينهما هي العبودية لله، فعليهما العمل لتعظيم شعائر الله، ويتم ذلك بالشكر على نعماء الله. إذ لا تُجوز خلافة الإنسان له التعدي السافر على محيطه البيئي وأي تعدي يعتبر فساد وحرمان للآخرين، وهذا بدوره يؤدي إلى التهميش البيئي الذي يعتبر في نظر البحث ظلم، تنتشر ظلما ته في كل مناحي الحياة وفوق هذا كله هو معصية صريحة ولا تتسق مع الإيمان الحق.

يقول الله تعالى: "ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أو كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ".[31]

26/ الحجر:19-21

27/ الرحمن: 5

28/ المؤمنون:18

29 / الرعد:2-4

30 / النحل :66

31/ فصلت:11.

والله سبحانه وتعالى يخبر الإنسان بعد تكليفه بأمر الخلافة في الأرض، بأن محيطه البيئي مليء بالأمم غير الآدمية تتميز بإيمانها بالله وإخلاصها في عبادته، مما يتوجب على الإنسان أن يتعامل مع تلك الأمم بطريقة تصالحية أي غير عدوانية، أي لا تقوم على التعسف في الاستفادة من مصادر الطبيعة كالقطع الجائر الذي يؤدي إلى تشريد المخلوقات الأخرى التي قال عنها المولى عز وجل: "وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأرض وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إلا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ".[32]

وعلى الإنسان أن يعي أن هذا الطائر البسيط قد علم صلاته وتسبيحه لله وحده لا شريك له. فينبغي على الإنسان أن يتعامل مع محيطه البيئي بالرفق واللين إكراماً لتلك المخلوقات وعوناً لها في تسبيحها وتحميدها. فلا يجوز تشريدها واستئصال مصادر معيشتها تعسفاً. تلك المصادر والتي في الأصل هي أمانة طرف الإنسان، فإن الحفاظ على البيئة هو الحفاظ على استمرارية عبادة تلك المخلوقات. لقوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرض وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ".[33]

وهكذا تمتد المنهجية التصالحية لتشمل النبات والحيوان والجماد ويترتب على ذلك ضرورة نقاء الهواء والماء والإبتعاد على كل شيء يؤدي إلى تلويثهما.

إن التصالح مع البيئة يؤدي إلى الحفاظ عليها والحفاظ عليها يضمن استمرارية واستدامة العبادة.

إن أهمية الحفاظ على البيئة وخاصة النباتية منها والتي ينبغي أن تسود إلى ما بعد حياة الفرد، تبدو واضحة ومهمة في حديث الرسول (ρ) حين قال: "إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها".

فالنظرة الفاحصة لهذا الحديث تنبه الغافل ليس للأهمية الحفاظ على بيئة الأجيال، إنما إلى ما بعد ذلك، فماذا يستفيد الإنسان وقد قامت الساعة وانقطع السبيل إلى الدنيا.

فإن أهمية التصالح مع البيئة والحفاظ عليها هو أهمية ذات أبعاد إيمانية أحد المكونات التي تربط أعمال الإنسان بالثواب والعقاب عند الله سبحانه وتعالى.

فإن صور التصالح مع البيئة كثيرة وما قيل في القرآن والسنة أكثر. إلا أنه يجب الإشارة إلى أن التصالح مع البيئة عبارة عن حلقات متصلة بعضها ببعض، تبدو صورها الأولية في الرفق بالحيوان والنبات والبعد عن ملوثات الهواء والماء، بغية تجنب عواقبها الكارثية كالفيضانات والتصحر والأشعة فوق البنفسجية والإحتباس الحراري والأمطار الحمضية.

إن كل فعل يؤدي إلى هذه الانتهاكات يدخل في دائرة الفساد... الفساد البيئي والذي أول من يتضرر منه هو الإنسان ومن ثم ينعكس على المخلوقات الأخرى، إذ يطفئ تلك القناديل التي تسبح حمداً وشكراً لله تعالى علواً كبيراً. يقول الله تعالى: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ".[34]

اقتصاديات البيئة والتغير المناخي:

مبدأ الحياة الطيبة:

"الحياة الطيبة هي حال من الأمن والطمأنينة ورغد الرزق، يعيشها الفرد في المجتمع ويتبارك كل شيء حتى **البيئة.** ويأمن من الخوف على إيمانه ونفسه وماله وبنيه".[35]

نظرية الاستخلاف (منظور اقتصادي)

الاستخلاف الاقتصادي هو موضوع دراسة وتحليل الاقتصاد الإسلامي لما له من علاقة مباشرة بنشاط المال والثروة وما يتصل بهما من أوجه الإنتاج والإنفاق وما تقتضيه ضرورة (النماء) عبر الاستثمار

---

32 /نعام :38

33/ النور :41

34/ ابراهيم:28-29

35/ محمد الحسن بريمة: التنمية المستدامة –تأسيس مقاصدي، التنوير المعرفي، الخرطوم , 2004 ,ص 8

والتنمية وما يتطلبه من إنزال الأحكام والضوابط التي تحدد أسس المعاملة في الاقتصاد الإسلامي، استجابة لمتغيرات الأحوال ومتطلبات الزمان استنباطاً وتأويلاً لمواكبة تلك المتغيرات.

يقوم مفهوم الاستخلاف الاقتصادي على قاعدة الإيمان بالله وأن الغرض من الخلافة هو العبادة الخالصة لله، لذلك جعل الله الإنسان عاقلاً مميزاً مكرماً دون سائر مخلوقاته، ثم أوكل له عمارة الأرض ومنّ عليه بنعمة التسخير.

يقول الله تعالى: "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأرض وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأنهار وسخر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَار".[36]

ولا تكون الخلافة فاعلة إلا بإتباع شرع الله، كما جاء في القرآن والسنة والخروج عنهما يعتبر فساداً يوجب الحرب من الله ورسوله والمؤمنين.

والتمسك بكتاب الله والسنة هما غاية الاستخلاف وخلاص الفرد من عذاب الله. إن هذا القرآن يوحي بأخبار أمم سابقة وأخرى لاحقة ويعلم الغيب.

إن مفهوم الاستخلاف الاقتصادي يحكم علاقة المسلم بالمال والثروة التي تحت يديه باعتباره الخليفة، لأن المال تتعلق به بعض الحقوق الاجتماعية واجبة التنفيذ. لقوله تعالى: "آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيراً".[37]

المال حق أصيل لله تعالى وعلي العبد (المستخلف) التصرف بموجب ما يرضي الله تعالى. كما أن هنالك آيات كثيرة توضح كيفية إدارة هذا المال منها، قوله تعالى: "وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُم."[38]

ولما كان الإنسان هو العنصر الأساسي في إدارة مال الله، كان من الضروري تحديد مسئولية هذا الإنسان، بمقتضى خطاب الله وتكليفه له في قوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأرض خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ."[39]

يرى بعض الباحثين [40] أن الخليفة وسط بين طرفين فلا هو مالك أصيل مطلق التصرف والحرية فيما استخلف فيه ولا هو مقهور مجبور لا حول ولا قوة ولا إرادة. فعقد الخلافة يقتضي أن يقوم المستخلف (الإنسان) بسياسة ما استخلف فيه (الأرض) وفق ما يحب ويرضي المستخلِف (الله تعالي).

إن علاقة المسلم بما تحت يديه من مال هي علاقة وظيفية أعطته حق التصرف في ماله في حدود ما أمر به الشارع فملكية الإنسان هي ملكية استخلاف إلهي ومنحة ربانية موقوتة تقوم حيث شرعها الله وتَمنع حيث منعها.[41]

إن عقد الاستخلاف الذي تتم في إطاره العبادة يقوم على عمارة الأرض لقوله تعالى: "هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأرض وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مجيب."[42]

نظرية الاستخلاف (منظور اقتصادي) باعتبارها العمود الفقري للرؤية الاقتصادية بالإضافة إلي موضوعات الملكية ومصادر الاقتصاد الإسلامي تحت مفهوم العمل الصالح والتي تشمل الخدمات و الاستثمار (التمويل) بالإضافة إلي موضوع التنمية،

36/ سورة ابراهيم الآية :32،33

37/ سورة الحديد: الآية :7

38 / سورة النور: الآية 33.

39 / سورة البقرة الآية 30

40/ محمد الحسن بريمة: التنمية المستدامة –تأسيس مقاصدي، التنوير المعرفي، الخرطوم , 2004 ,ص 12

41 / أحمد مجذوب أحمد: ملامح النموذج الاقتصادي الإسلامي وقضايا الانفاق العام: هيئة الاعمال الفكرية –الخرطوم 2008 ,ص12.

42 / سورة هود: 61

العمل الصالح:

مفهوم العمل الصالح:

تتكامل نظرية الاستخلاف الاقتصادي مع أحد مكوناتها وهو العمل الصالح، الذي لا يسعي إلى إفساد الحياة، ذلك العمل الذي يوفق فيه المستخلف بين كسب الموارد الطبيعية والمحافظة على مصادرها حتى يضمن استدامة عطائها (إن الله خلق كل شيء بقدر) ويقول الله تعالى: "وَلَا تُفْسِدُوا فِي الأرض بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِين "[43] وهنا أمر الله واضح النهي عن الإفساد في الأرض وما أضره بعد إصلاحها.

ولا يتأتى إصلاح الأرض وإعمارها إلا باستصحاب قيمة العمل الطيب الذي يستمد أساسه من الإيمان وعبادة التوحيد، مما يجعل كلام الله له قيمة عقدية.

إن الإسلام يدعو إلى الوسطية في كل أوجه النشاط المختلفة بما في ذلك الإحسان الخالص لوجهه تعالى لقوله: "وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا"[44] ولتجويد العمل حتى يغدو صالحاً، حرم الله كل أنواع المعاملات الفاسدة وحبب عمل الخير والتسابق إلى الطيبات من الأعمال. لقوله تعالى: "أَفَمَنْ أسس بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أسس بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِين"[45]ً والوسطية في الإسلام تؤكد على قيمة العمل الصالح (المال) وحفظه يعتبر مقصداً شرعياً من المقاصد الخمسة. أما عاقبة العمل الخبيث هو التصدع والانهيار كالمسجد الذي بني على ضراراً يخرج منه الدخان في عهد الرسول (ρ).

أما مفهوم تسخير الناس بعضهم لبعض في عملية الإنتاج فيهدف إلى التفاوت الإيجابي بعد العدالة في توزيع الفرص، مما يحقق التنوع في السلع والخدمات والتمييز في الجودة بفضل إتقان العمل كل حسب قدراته وهمته وهذه هي الحكمة من تقسيم العمل إن كان عضوياً أو آلياً. والذي بدوره يحقق ثواب العمل في الداريين كل حسب عطائه انطلاقاً من نقطة التساوي، مما يضمن استمرارية إعمار الأرض واستمراريتها تضمن تبادل المنافع وتحفظ الحقوق.

عليه يمكن القول بأن مفهوم العمل الصالح[46] يؤسس على:

- العمل قيمة توحيدية غايتها إعمار الأرض وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية.
- الأساس المتين للعمل ينهض بإقامة العدل بين الناس.
- حفظ المال ينبغي أن يؤسس على جودة العمل والاعتدال في الاستهلاك والإنفاق.

الاستثمار الإسلامي ودعم استقرار المناخ وحماية البيئة:

التمويل:

نعني بالتمويل استثمار المال ويتم ذلك بجمع المدخرات وتشغيلها لغرض الربح حتى يتحلل المال من الحبس والاكتناز ويخدم غاية الاستخلاف حتى يكون قادراً على الوفاء بالتزامات المال الشرعية كالزكاة وأوجه البر والإحسان الأخرى.

والتمويل في الإسلام يقوم على أساس لا يعرف الفائدة (الربا) بل إنه يقوم على الربح والخسارة وفقاً لنوع العملية التمويلية (الاستثمارية).

والتمويل في الإسلام ينقسم لعدة أنواع كالتمويل التبرعيي وتتمثل صيغه في القروض، الهبات، الوقف والعارية. أما التمويل الائتماني يتمثل في صيغة القرض، الإجارة والجعالة. أما التمويل بالمشاركة فإن صيغته هي المضاربة والمزارعة والمساقاة. أما التمويل التجاري فيقوم على صيغة السلم والبيع الآجل والاستصناع، كما أنه يوجد ما يعرف بالتمويل التعاوني القائم على تبادل الخدمات على سبيل التعاون.

يتميز التمويل الإسلامي بأنه حقيقي أي بمعنى أن أصل المال موجود بالفعل. وليس كما هو معروف في أصول المضاربات القائمة في سوق الأوراق المالية، فإن الأصل غير موجود بالضرورة وتكون توقعات

43/ سورة الاعراف الآية:56

44/ سورة الأسراء الآية :29

45/ سورة التوبة الآية 109

46 /رفعت السيد العوض: منهج المعرفة ونشأة علم الاقتصاد فى الحضارة العربية الإسلامية، موسوعة الادارة العربية الإسلامية ج (5) القاهرة,2004، ص ص 108،104،102.

وهمية أو سيولة لبعض الأصول التي لا تصلح أن تكون رأس مال وربما هي في الأصل تكون (رأس مال اجتماعي).

الهجرة كأثر بيئي:

المقدمة:

تميزت الهجرة في الإسلام بأبعادها البيئية القائمة على قراءة الوحي لأسباب تتعلق بالصراع الأيديولوجي بين أنصار الله وأنصار الشيطان (أهل الكفر والضلال).

إن الهجرة لله وفي الإسلام على وجه الخصوص تقوم على الإيمان الخالص لله وما يترتب عليه من جهاد يفضي إلى الشهادة أو النصر. كيف لا وقد ترك المهاجرون الأهل والمال والوطن لنصرة كلمة الله.

الهجرة في الإسلام تتطلب النية الخالصة لله، مما يجعل شرط النية من المقومات الأساسية في الهجرة لله ورسوله. قال عمر بن الخطاب (τ): "سمعت رسول الله (ρ) يقول: إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئٍ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كان هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه".[47]

تعتبر الهجرة أثراً لكوارث البيئة الطبيعية المتمثلة في الأمطار، الفيضانات، السيول، الرياح والآفات الحشرية... الخ. لكن تدخلات الإنسان السافرة هي التى زادت معدلات السنن الكونية، مما جعلها تؤدي إلى النزوح بصورة قاسية جدا ومآلات وخيمة، تعرف بالتهميش البيئي.

تبدو أهمية قراءة الوحي في أسباب الهجرة وآثارها، إذ أن الأسباب الظاهرة هي أسباب طبيعية إلا أن حقيقة الأمر تقوم على أسباب اجتماعية تفضي إلى صراع أيديولوجي يؤدي إلى حروب أو كوارث طبيعية، سبق التنبيه إليها مسبقاً بواسطة الرسل والأنبياء.

يقول الله تعالى: "وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الأرض مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا".[48]

فمنذ هجرة النبي (ρ) وأصحابه من مكة إلى المدينة صارت هذه الكلمة مصطلحاً إسلامياً ومعلماً من معالم السيرة النبوية وذكرى عامرة بالبذل والتضحية والإيثار وسمة لرجال مؤمنين ونساءٍ مؤمنات تركوا الدار والأهل والمال في سبيل الله من أجل الدين كله لله.[49]

الإسلام يبيح الهجرة طلباً للثراء وجمع المال[50] فإن المال في يد أهل الخير قوة تخدم مثلهم العليا... فإن هاجر لطلب المال بنية خدمة الحق، فإن هجرته في سبيل الله (نعم المال الصالح للعبد الصالح).

فلا جرم أن اللاجئين إلى دار الإسلام فراراً من أي عنت، يلقون من أهل الإسلام الأمان المطلق لذواتهم وأولادهم وأموالهم.[51]

إن الإسلام حث الناس على الهجرة وشجعهم على الغربة وبين لهم أن أرض الله واسعة وأن رزق الله غير محدود بمكان ولا محصور في جهة، فإذا أدرك أحدهم الموت بعيداً عن أهله وغريباً قُيس له من مولده إلى مدفنه في الجنة.[52]

يقول رسول الله (ρ): "سافروا تستغنوا".[53]

يقول الله تعالى: "وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأرض يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ".[54]

أسباب الهجرة:

أقر الإسلام الهجرة لأسباب كثيرة تضطر الفرد إلى هجر موطنه فيصبح مهاجراً في سبيل الله. هذا الفصل يحاول حصر أسباب الهجرة في سببين أساسيين، حسب المفهوم الإسلامي للهجرة ويناقش كل سبب على حده.

السببان هما تدهور البيئة الطبيعية وتدهور البيئة الاجتماعية ولعل تدهور أي واحدة منهما يؤدي إلى تهميش بيئي له آثار خطيرة ومدمرة تجعل الهجرة أثر لتدهور البيئة والذي يعتبر سبباً للتهميش البيئي.

---

47 كيف كان بدء الوحي إلى الرسول ρ: البخاري الحديث الأول باب بدء الوحي ومسلم حديث رقم (1907).

48/ النساء:100

49/ أحمد على الامام: انفاس طاهرة من لطائف الهجرة في السيرة النبوية، المركز القومي للانتاج الاعلامي. الريادة للطباعة، خرطوم1420 ه، ص,34

50/ محمد الغزالي: حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، نهضة مصر للطباعة، القاهرة ص,144

51/ نفس المصدر: ص , 146

52/ يوسف القرضاوي: مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام: مصدر سابق، ص ص 44-45

53/ نفس المصدر: ص ,45

54/ المزمل :20

أولاً:

تدهور البيئة الطبيعية:

إن الله تعالى خلق كل شيءٍ بقدر موزون. وأن الإسراف يؤدي إلى فساد البيئة إلا أن الفساد في الموارد الطبيعية يتم عن طريق شح الموارد ذاتها أو إرسال آفات تضر بها أو رياح تقتلعها من جذورها، ما هو إلا عقاب من عند الله تعالى وإن بدا في شكل العوامل الطبيعية الصرفة. وهنا تبرز أهمية قراءة الوحي التي تبين لنا معرفة لا يمكن إدراكها من خلال القراءة الكونية فقط.

تمثل آيات الله الكونية (النذر) والتي تؤدي إلى التهميش البيئي كما هو في الأمطار المسببة للسيول والفيضانات والجفاف (الجدب) وكذلك الآفات التي تضر بالزرع والضرع وما تخلفه من جوع (قحط) وخوف ومرض... الخ تدفع الناس إلى الهجرة والنزوح واللجوء.

يقول الله تعالى: "وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِين".[55]

ومن أسباب الجوع ذات الأبعاد البيئية، التصحر المفضي إلى الجفاف (الجدب) لقلة الأمطار اللازمة لمزاولة النشاط الزراعي، حيث تعتبر الزراعة المصدر الرئيسي للغذاء.

كما أن نقص أو إنعدام الأمطار يتسبب في إنعدام المرعى اللازمة لحياة الحيوان والذي يعتبر مصدراً ثانياً للغذاء لما يحتويه من لحم ولبن ومنتوجاتهما.

ومن الكوارث الطبيعية التي تسبب الجوع الذي يؤدي إلى النزوح، الآفات الحشرية كالجراد والطير والفئران. إلا أنه ومن الثابت أن الجراد أكثر ضرراً بالزروع وسائر النباتات لقدرته إحداث الأضرار البالغة في وقت وجيز، إذ تضرب بعض العرب الأمثال كقولهم "كالجراد لا يبقي ولا يذر".

يقول الله تعالى: "فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيات مُّفَصَّلاَتٍ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ".[56]

ومن آيات الله في الكون التي تنذر بالكوارث الطبيعية (الفيضانات) والتي تؤدي إلى التهميش البيئي المؤدي إلى الهجرة، النزوح واللجوء.

يقول الله تعالى: "لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿15﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿16﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إلا الْكَفُورَ".[57]

ولعل هذه الآية توضح الأسباب والأضرار بالغة الأثر التي تؤدي إلى النزوح والفرار (التفرق) لإعراض الناس عن كلام الله سبحانه وتعالى. فانهار سد مأرب وتعرضت الزروع إلى الفيضانات التي قضت على الزروع وحياة الناس معها، ثم لاذ ما بقي بالفرار نزوحاً، حتى أصبح أهل سبأ مضرباً للأمثال (تفرقوا أيدي سبأ). ولعل المهم هنا أن نزوح هؤلاء القوم تفرد بخاصية صعوبة التواصل بين المنطقة والأخرى (المباعدة بين الأسفار).

يقول الله تعالى: "وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿18﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ".[58]

ويقول الله تعالى: "إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأرض مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأرض زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أو نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيات لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ".[59]

ومن الكوارث الطبيعية التي تؤدي إلى التهميش البيئي المفضي إلى النزوح والهجرة. الرياح والأعاصير التي تلحق بموارد الطبيعة أضراراً بالغة، تنعكس على حياة الناس مما يترتب على ذلك نزوح جماعي إلى مناطق أكثر أمناً ورخاءً.

55/ البقرة :155

56 / الاعراف 133

57 / سبأ :14-17

58 / سبأ :18-19

59/ يونس:24

يقول الله تعالى: "مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هِذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ".[60]

ثانيًا:

60 / آل عمران:117

تدهور البيئة الاجتماعية:

وبما أن المحيط البيئي يشتمل على الطبيعة بمواردها المختلفة وكذلك المخلوقات الحية (الإنسان والحيوان) فإن التدهور البيئي يتسبب فيه الإنسان بمختلف الطرق منها إفساد الموارد وكذلك إفساد الحياة الاجتماعية.

إن فساد الحياة الاجتماعية يؤدي إلى التهميش البيئي ويترتب على ذلك هجرة قسرية، باعتبار أنها أفضل الخيارات في لحظة النوازل.

إن تدهور البيئة الاجتماعية يتمثل في الصراع والذي يبدو اجتماعياً، عندما تتغول الأغلبية على حقوق الأقلية.

يهتم البحث بالصراع الاجتماعي الأيديولوجي والذي تقوم به أغلبية غاشمة على أقلية مسالمة، تتمسك بحقها في العبادة وإقامة شعائرها الدينية، فيضطرها إلى هجر أوطانها. الهجرة والنزوح إلى ملاذات آمنة (أرض الله الواسعة)، تاركون وراءهم المال والأهل وكل مقومات الحياة وهذا هو عين التهميش البيئي الذي تسببه الحروب التي تجبر السكان إلى النزوح. وهذا التهميش أكثر خطورة وأبلغ ضرراً، لأنه يقوم على عنصر التخطيط والرصد والمتابعة في عملية إخراج الناس من ديارهم، مما يترتب عليه أثر نفسي بالغ القسوة.

إن الصراع الأيديولوجي المقصود هو صراع المسلمين وكفار مكة والذي بدأ بعد نزول الوحي على سيدنا محمد (ρ) أي قبل الهجرة ببضع سنوات وحتى فتح مكة. ومن المميزات العامة لهذا الصراع هي صفات الإيمان والثبات (الصبر) لدى المسلمين على الابتلاءات العظيمة.

أما بالنسبة للكفار تميز بالاستعلاء والقسوة في عذاب المسلمين، خاصة الموالي منهم. وفي خضم جبروت وصلف كفار قريش وقلة حيلة المسلمين، ما كان أمام المسلمين إلا الهجرة. كما أن الهجرة في الإسلام تتضمن أيضاً دوافع إيحائية من الله تعالى.

"هذا ولما رأى رسول الله (ρ) ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية بمكانة من الله ومن عمه أبى طالب وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه".[61]

لقد تعرض المسلمون إلى أقسى أنواع الإحصار الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، فقدوا العمل ومنعوا من ممارسة عباداتهم، فأصبحوا مدافعين يترقبون الهجوم والاعتداء بين الفينة والأخرى، مما جلب لهم الفقر والإفقار والإغتراب والاضطهاد الديني.

إن الإقصاء الاجتماعي الأيديولوجي، كما أوضحنا آنفاً، قد وصل مرحلة تجاوزت حدود الصبر. فكانت الهجرة على الرغم من مآلاتها من جراء التهميش البيئي الذي لحق بالمسلمين، فكانت هي الأفضل، بل هي استجابة لحديث رسول الله (ρ) في شأن الهجرة إلى الحبشة. كان ذلك في السنة الخامسة بعد نزول الوحي.

أما الهجرة الثانية، فكانت لنفس الأسباب، عندما زاد صلف الكفار وبغيهم، ما كان أمام المسلمين إلا الهجرة. تميزت الهجرة إلى المدينة، بأنها كانت هجرة داخلية، اتخذت سمة النزوح الداخلي، إذ أن القوم الذين استضافوا المهاجرين (أهل المدينة) هم أبناء بيئة واحدة في أبعادها الطبيعية والاجتماعية (مقارنةً بالحبشة)، كما تميزت بحفاوة الضيافة التي تسامت إلى قيمة الإيثار والذي يعتبر من أقوى وأرقى أنواع التكافل الاجتماعي (البر) وهو من أعلى مراتب الإحسان.

كما حدثنا القرآن الكريم عن هجرات كثيرة لأسباب منها البيئة الطبيعية وفساد البيئة الاجتماعية والتي يعقبها دمار للبيئة الطبيعية، كما هو في هجرة موسى عليه السلام وما لحق بقومه بعد أن فلق له البحر وهلك من تتبعه من جماعات الكفر والضلال. ومن شواهد الآثار البيئية (الهجرة) التي تجلب الفقر والجوع والإغتراب، ما حدث لنبي الله موسى عليه السلام في هجرته لمدين.

ومن فساد البيئة الاجتماعية التي تؤدي إلى الصراع الأيديولوجي الذي يدفع للهجرة صراعات أنبياء الله إبراهيم ولوط عليهما السلام مع قومهم.

يقول الله تعالى على لسان نبيه إبراهيم: "وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ".[62]

61/ الفاتح الشيخ قريب الله: السودان دار الهجرتين الأولى والثانية للصحابة، المؤسسة العامة للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان، الخرطوم، بدون تاريخ، ص 149

62/ الصافات :99

ويقول الله تعالى على لسان نبيه لوط: "وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ".[63]

مستخلصات البحث:

- خلاصة هذا البحث تركز على أن خلافة الإنسان فى الأرض مقرونة ببعدها البيئي. إذ كانت البيئة مسخرة للإنسان ليتبوأ فيها ويستقر، ولا يتحقق الاستقرار إلا بتوفير ضروريات الحياة والتى فى مقدمتها المأوي.
- إن خلافة الإنسان فى منظورها البيئي هي خلافة تقوم على الإيمان المفضى للعبادة الخالصة لوجه الله وأي تفريط فى أمانة البيئة يعتبر تجاوزا لحدود الأمانة.
- إن التسخير يعنى تذليل صعاب الحياة إلتى تعترض الإنسان فى سعيه لتوفير تلك الضروريات، وهو أيضاً تكريم للإنسان عن سائر المخلوقات الأخرى لغاية العبادة القائمة على التوحيد. وفى سبيل سعيه لتحقيق الخلافة البيئية بعد نعمة التسخير، ينبغي عليه تجنب الظلم والحرمان، الاستغلال، الإقصاء وتغريب الآخر من بني البشر وسائر المخلوقات الأخرى، لأن ذلك فساد ينتج عنه تهميش بيئي.
- إن التهميش البيئي بسبب الفساد المتمثل فى التدهور البيئي، سببه الابتعاد عن تعاليم الله التى تدعو إلى قاعدة لا إفراط ولا تفريط، لكي تتحقق قاعدة القدر الموزون. القدر الموزون هو التوازن البيئي الذي يعنى الاعتدال فى استغلال موارد البيئة الطبيعية. عليه ولاستئصال شأفة التهميش البيئي، لابد من أن تكون النظرة تجاه البيئة قائمة على قاعدة التصالح مع البيئة والتي تعنى النظرة الإيمانية تجاه البيئة الطبيعية لمعرفة محيطها ومن ثم التعامل معها لماهيتها وأغراض خلقها.
- إن التصالح مع البيئة تبدو صوره الأولية فى الرفق بالحيوان والنبات والبعد عن ملوثات الماء والهواء، بغية تجنب عواقبها الكارثية التى ذكرها البحث آنفاً والتي تؤكد التهميش البيئي والآثار التى تترتب عليه.
- أن مفهوم الاستخلاف الاقتصادي يحكم علاقة المسلم بالمال والثروة التى تحت يديه، باعتباره خليفة فى مال الله. وبالتالي يعتبر المال ملكية عامة، أما فى إطار الفرد، فإن الله تعالى كفل للمسلم الملكية الخاصة ومن أهم واجباتها أن تستثمر للفوز بالآخرة. ويمكن يتحقق ذلك فى إطار العمل الصالح والذي يعنى طيبات الأعمال فى كل أوجه الحياة بما فيها الاقتصادي. عليه أحل الله كل أوجه النشاط الاقتصادي كالتجارة، الزراعة، الصناعة، الخدمات وغيرها فى إطار العمل الطيب المقرون بالإيمان بالله
- في موضوع الهجرة ركز البحث على أن الإسلام يبيح الهجرة طلباً للثراء وجمع المال والذي يعتبر انعتاق من الفقر الذي، يمثل أحد آثار التهميش. وانطلاقاً من أن أرض الله واسعة والرزق لا يحدد بزمان أو مكان، فإن تدهور البيئة الطبيعية والاجتماعية، مجلبة للفقر والإفقار. مما يجعل الهجرة فراراً من جبروت فعل القوى المتنفذة التى جلبت الفقر وبذلك يعتبر أثراً للتهميش البيئي.
- إن الهجرة القسرية والتى من أسبابها فساد البيئة الطبيعية والاجتماعية، يجعلها أفضل الخيارات للفرار من الفساد والذي يعتبر أثراً للتهميش البيئي.
- إن الهجرة فى تاريخ الأمم، التى ذكرها الإسلام، توضح عظمة وحجم الآثار البيئية والتي تنعكس على البيئة الطبيعية والتي تعتبر شواهد آثار التهميش البيئي لتلك العصور.
- لابد أن تتضافر الجهود لرفع الوعي البيئي، بغية احترام القوانين المحلية والصكوك الدولية التي تدعو إلى سلامة المحيط البيئي على كوكب الأرض.

63/ العنكبوت :26

قائمة المراجع

1. القرآن الكريم
2. ابراهيم اوزدمير: البيئة في القرآن الكريم، مجلة التنوير المعرفي العدد (5)، الخرطوم 2008,ص181.
3. محمد مجذوب محمد صالح: الأصول المعرفية لمفاهيم حقوق الإنسان.
4. عبد الإله محمد الحسن: حماية البيئة والمحافظة عليها، تفكر المجلد (7) العدد (2) مطابع العملة السودانية – معهد إسلام المعرفة بجامعة الجزيرة- مدني 2006.
5. زينب عثمان سعيد: نحو صياغة إسلامية لعلم الأحياء البيئي، مجلة التأصيل العدد (4) ادارة تأصيل المعرفة بوزارة التعليم العالى والبحث العلمي، المؤسسة العامة للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان- أم درمان 1996.
6. عبد الاله محمد الحسن: حماية البيئة والمحافظة عليها، تفكر، م7 العدد2 , مدني 2006
7. جمال الدين شريف: مفهوم الاستخلاف، الأبعاد المعرفية لمفهوم الاستخلاف، مركز التنوير المعرفي. سلسلة حوارات التنوير (5)، الخرطوم ,2006 .
8. يوسف القرضاوى: رعاية البيئة فى شريعة الإسلام، دار الشروق، القاهرة 2006.
9. محمد الحسن بريمة: التنمية المستدامة–تأسيس مقاصدي، التنوير المعرفي، الخرطوم , 2004
10. أحمد مجذوب أحمد: ملامح النموذج الاقتصادي الإسلامي وقضايا الانفاق العام: هيئة الاعمال الفكرية –الخرطوم 2008.
11. رفعت اليسد العوض: منهج المعرفة ونشأة علم الاقتصاد فى الحضارة العربية الإسلامية، موسوعة الادارة العربية الإسلامية ج (5) القاهرة,2004.
12. كيف كان بدء الوحي إلى الرسول ρ: البخاري الحديث الأول باب بدء الوحي ومسلم حديث رقم (1907).
13. أحمد على الامام: انفاس طاهرة من لطائف الهجرة في السيرة النبوية، المركز القومي للانتاج الاعلامي. الريادة للطباعة، خرطوم1420 ه،
14. محمد الغزالي: حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، نهضة مصر للطباعة، القاهرة
15. الفاتح الشيخ قريب الله: السودان دار الهجرتين الأولى والثانية للصحابة، المؤسسة العامة للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان، الخرطوم، بدون تاريخ،